دفنتُ قلبي

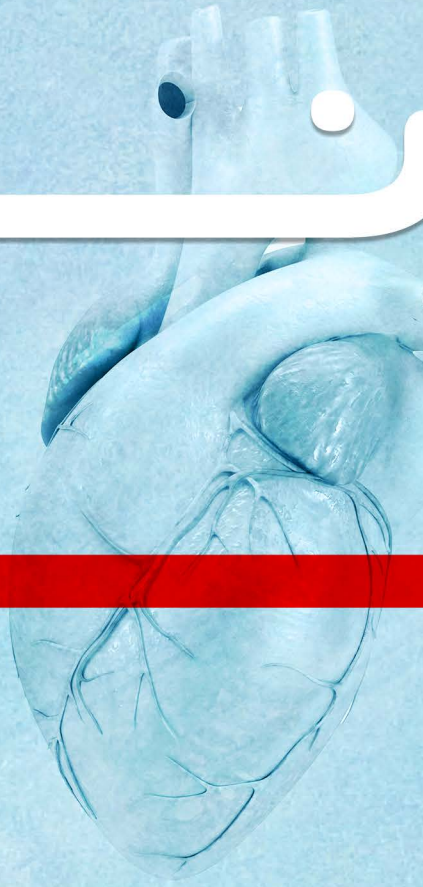

حنين رمضان

دفنتُ قلبي

حنين رمضان

إلى من يقرأ

يا من والده على قيد الحياة، إنك في أعظم نعمة من نعم الخالق فحافظ عليها!

إلى من فقد أباه:

اعلم أن أعظمَ فَقد وأشد مرارة ذلك الفقد الذي تودع فيه من رحل قلبك معه، فتغدو ميتًا مع أنك ما زلت على قيد الحياة.

إليك بعض الخواطر والكلمات التي ربما -دون قصد مني- يضيق بها صدرك ويحزن قلبك، فأنا أعبر عما في داخلي؛ لأزيل بعض الهم والحزن اللذين أثقلا صدري.

اذكروا أبويكم ولا تنسوهما من الدعاء في كل صلاة.

إهداء

إلى ذلك الرجل الذي أفنى عمره وضحى بصحته ليربيَني في صغري ويعلمَني.

إلى من أحاطني بالحب والحنان، إلى قدوتي وقرة عيني وسبب سعادتي.

إلى من علمني الإيمان والإخلاص والوفاء.

إلى أول من عرفه قلبي، وأول من همس صوته في أذني، إلى من كان دائمًا إلى جانبي وفي كل ظروفي.

يا أول من فتحتُ عينيَّ بين يديه، وأحاطني بأمانه ومحبته.

يا من صرف صحتَه لأجلي وخاف عليَّ.

وكم من مستشفياتٍ زارها ليطمئنَّ على صحتنا وسلامتنا!

وكم سها عن صحته، وربّانا على المحبة وطاعة الله.

كان لا يحرمنا من شيء، وكان نصحُه لأجلنا، وحين كبرنا تعلقنا به أكثر وأكثر، وخفنا عليه مثل خوفه علينا في الصغر.

ندعو الله ألّا يصيبَه أذى؛ {ربِّ ارحمهما كما ربَّياني صغيرًا}.

كنا في سعادة حين كان معنا لكن لم نشعر بها، وكنا في حياة يحلم بها كل يتيم لكننا مع الأسف غافلون.

إلى روح أبي

خُذ عني يا عزيزي/تي: نحن في دنيا فانية، وكل شيء فيها سيزول، وفيها ما لا يُعوَّض.

فلا تبك على شيء سيعوضك الله بأحسن منه، فبعض النعم تستحق أن نبكي عليها؛ لأنها لا تُعوَّض، فما أبشع الرحيل!

أنت الآن في أكبر نعمة فلا تبكِ على سواها، استغلَّ وجودَها قبل رحيلها، استمتع بها.

فوالله ستفقدُ بعدَ رحيلها كلَّ لذة، سينكسر بفقدها ظهرُك، وستصبح الحياة لا تطاق؛ لأنّ من كان يبهجها اليوم قد رحل.

ستندم قليلًا، لا بل والله كثيرًا على كل شيء؛ على تقصيرك معهما، وعلى أشياء أردتَ أن تفعلها، وعلى كل كلمة وجملة وددتَ أن تقولها، ولن تنفعَك الدموعُ الآن، ستضيقُ بك الدنيا وتكرهُها بعد فقدانهما أو فقدان أحدهما.

إنهما الوالدان، سيصبح العالم من حولك ناقصًا.

لن تتلذذ بشيء؛ لأن كل معاني سعادة تكون في جوارِهم والجلوسِ والحديث معهم.

بعضنا يقصّر في حق والده؛ فهو لم يعرف قدر النعمة العظيمة، ولم يشكرِ الله عليها.

الوالد أساسٌ في وجود الأسرة، ويجعلها دائمًا في قمة السعادة والطمأنينة والأمان.

لا تهملوهما، وعاملوهما أحسنَ معاملة.

أدُّوا حقَّهما على أكمل وجه.

في وقت من الأوقات قد يغضب منك والدك، أو يقسو عليك، يجب عليك حينَها تحمّلُه، ولا يعني فعلُه ذاك إهانةً لك أو كرهًا؛ فقد يظن بعضنا هذا الظن لا سيما إذا كان والدُه هكذا، فتتكوّن في ذهنه صورةُ عدمِ محبة والده له، أو أنه لا يريد بقاءه! نعم، ربما أخطأ في رفع يده عليك، لكن لا يعني هذا أنه لا يريدك، وغالبًا، بل دائمًا يكون ضربُه لمصلحتك، وأنت أيضًا لا تكن سببًا في تعكير مزاجهما بعدم طاعتك أوامرَهما، أو أن تكون سببًا في مرضهما.

ولا تقل لي إن والديَّ يقيّداني ولا يحبانني! فوالله إن حُبَّ الوالدين لا يقارَن بأي حبٍّ في العالم، ولا أحدَ من البشر مثلُهم، فأنت فِلذَةُ كبِدِهما التي تمشي على الأرض، وحبُّهم إياك فاقَ كلَّ وصف.

لو ندري أنهم يحترقون من أجلنا ومن أجل راحتنا وسعادتنا ما قصرنا في حقهم.

لا أحد يتمنى لك نجاحًا دون حسد ولا غيرة مثلهما، يريدانك أفضل منهما، ألا يستحق أن تعطيَهم كلَّ شيء؟

طاعتهم فرض وواجب علينا؛ فقد فضّلهم الله وقرن طاعته -سبحانه وتعالى- بطاعة الوالدين، عصيانهم وتركهم كبيرة كما في القرآن والسنة.

ففي تفسير قول الله تعالى: {يبلغن عندك الكبر} أي عندك أنت الذي تكون مصاحبهم وفي جوارهم، لأننا نحن أَولى الناس بقربهم في الحياة لا سيما عند الكبر، ويحتاجون إلى العطف منا مثلما عطفوا علينا ونحن في أحضانهم.

فلماذا تتركهما وتهجرهما وهما ما يزالان على قيد الحياة؟

هل تنتظر فراقهما كي تتحسر وتبكي؟

لن ينفعك الدمع حينها! هل تظن أنك ستجد بعد فراقهم حياة؟ لا أظن!

نصيحة

الآن فرصة طلب السماح منهما والرضا؛ فربما يغيبان عنك غدًا إلى الأبد وتتحسر على ما فاتك.

حينها ستفقد لذة الدنيا! فرصتك الآن بين يديك فاغتنمها لأنها لن تعود مجددًا.

أنصت إلى كلامهما وإلى قصصهما حتى إذا أعاداها؛ فما أجمل حكاياتِهم وقصصَهم عن الماضي!

بادلهما الحديث ولا تنشغل عنهم بشيء، واحرص على أن تكون دعواتُهم في صالحك؛ لأنها ستحفظك بعد الله -سبحانه وتعالى.

أسرع قبل أن يُغلَق الباب وتقول: يا حسرتا على ما فرطت!

فلن تنفعك كلمة يا ليت (أمي أو أبي) ما يزالُ حيًّا بيننا فأُحسِن إليه وأقترب منه وأكون معه.

إليكم قصتي لعل ضمائركم تفيق وتحسنون التعامل مع والديكم.

وداعُ أبي

بعد أن سمعتُ بمرض أبي كاد قلبي أن يتوقفَ خوفًا وجزعًا، وتمنّيتُ أن أكون مكانه وألّا يمرض الآباء. بعد نجاح عمليته - بفضل الله-، وبعد أن طَمأننا الأطباء على صحته كاد القلب أن يطير فرحًا، وحمدتُ الله على أن عادت صحته إلى ما كانت عليه، كنا ننتظر قدومه بشغف وهو كذلك يبادلنا المشاعر نفسها، كان يسعد حينما يرانا فرِحين برؤيته معافًى وبصحة جيدة.

وكانت مشيئة الله ألا يعود إلينا! رحل أبي وهو في ريعان شبابه وقوة جسده، ولما سمعت ذاك الخبر أصابني الجنون والحزن وأنا أنظر إلى جسده القابع على السرير.

رباه! ماذا يحدث؟ أكاد لا أصدّق ما أرى! قرأت عنه بعض الآيات من كتاب الله، وأحاديثَ نبوية، وبعض الخطب والمواعظ، لكن لم أتصور يومًا أن أرى أبي ميتًا! تضرّعت إلى ربي ورجوته أن يتغمّده بواسع رحمته.

وقبل أن أواري جسده في التراب وددت أن يعود إلى الحياة، وأن تقَرَّ عيناي برؤيته حيًّا يعيش بيننا، ويضيء طريقنا، ويسعد حياتنا.

ذاك رجل شهم مستقيم، ما عرفت عنه أنّه سقط في أوحال الذنوب، ولا عهدت منه كذبًا ولا انحرافًا وراء الهوى مثل أولئك العابثين، لا وربّي! بل كان بريئًا تقيًّا، ذا تصرف عاقل، عفيفًا طاهرًا، ناداني كثيرًا قبل الحدث المأساوي ليوصينا وكأنه يشعر بانتهاء الرحلة الدنيوية، نظر إلينا وكأنه يقول: إني أحبكم فتحملوا فراقًا منتظَرًا، وأطلب منكم الصبر، اصبروا على الفرح والترح، وحتى إن فارقتُكم فالله معكم.
ذهول عظيم! لا أصدق! أحَقًّا زارنا ملَك الموت وطلب روحه الطاهرة لتخرج وتصعد إلى باريها؟! يا رباه! ما هذا؟ ازددت بكاءً

وأدركتُ أنه مات، كان الحدث صاعقةً حلَّت بنا، لكن لا نقول إلا ما يرضيه -سبحانه وتعالى-؛ إنا لله وإنا إليه راجعون.

أصبحتِ الحياة رماديةً بلا ألوان، ذابلةً كالورد الذي لم يجد ماء ليزهر.
أصبحت شبيهةً بالصحراء؛ قاحلةً لا يوجد فيها شجر ولا عشب، ولا حتى بحيرةَ ماء، ولم يَعُدِ الربيع ربيعًا يا أبي، ولا الشتاء شتاءً! هكذا فعل فراقك.

يا أبي، كل شيء تغير في غيابك.

أعيش دونك مثل الطير الذي كُسر جناحه ولم يستطِع أن يتمتع بالطيران، وصار يتخبط بين الأغصان، صرت أمشي في ظلام حالِك حزينةً غيرَ مدركةٍ أيَّ طريقٍ آمَنُ لي، ذهبَت بصيرتي.

من يكسوني في الشتاء البارد وفي حر الصيف؟ فقدت كسوتي ولا مأوى يأويني!

أصبحتُ في ضياع تام، لست مدركة إلى أين أذهب، وماذا أفعل، وماذا أريد!

انظر إلى مستقبلي كأنه غيمةٌ سوداء! أرى كلَّ شيء حزينًا وكئيبًا، فقدتُ قُواي العقلية والنفسية، لا أملَ لدي ولا طموح ولا هدف، فقدتُ صوابي ولم أعد أفرح، ضحَكاتي وبسماتي تلاشت، ولربما انعدمت أو أصبحَت كاذبة.

صرت لا أبالي إن نجحت أو رسبت، أو فُزت أو خسرت؛ ففرحي وسعادتي رحلا معك ولن أبالي بشيء بعد الآن!

فالحياة التي أعيشُها يا أبي الموتُ معناها، أصبحَ الوجعُ والحزنُ يصاحِباني كالمرض المزمن.

والموت أمنيتي كي أراك يا أبي.

في كل ليلة تمر عليَّ أنظرُ إلى النجومِ والدموعُ تملأ عينَيّ، أتذكر تلك الليلة التي نمت فيها بأمان؛ كانت خاتمةَ الأفراح، كانت ليلةً لا تُنسى؛ انتظرت فيها مجيئَك بعد اتصالك وسماعي صوتَك، ما كنت أعلم أنني سأستقبل جثتَك، وسأبكي للقائك، وبدلَ الفرح والسرور سأبكي دمًا من ألم

الفراق، ومن حرّ الوجع، ومن مشهد لبس أبي الغالي الكفنَ وذهابه بعيدًا عنّا مخلفًا الأسى والآهاتِ والدموعَ والحسرات، يشهد ألمي حينَ أتذكّر الماضي، وأنك أصبحت من الماضي ولن تعود.

لن أرى عينَيه ونظراتِه الحنونة، كانت نظرتُه الأخيرة نظرةَ وداعٍ لم أفهمها ولم أعِها، لو كنتُ حينَها أفهم لغة العيون ما تركتُ أبي يذهب، جمعنا الله بك في جنات النعيم.

حتى أرجاءُ بيتنا تغيرت؛ لم يعُد مثلَ بيوت الآخرين؛ أُطفِئَت فيه الشمعة التي كانت لنا ضياءً في الظلام الموحش، وأصبح مهجورًا حزينًا لا سعادة فيه.

اختفت الابتسامة الحلوة، وحل محلَّها الوجع والحزن، والمزرعةُ التي كانت ربيعًا دائمًا أصبحت خريفًا؛ تساقطتِ الأوراق، وجفَّ الشجر وأصبح يابسًا يبكي على فراق الأحبة.

بصمةٌ ولمسةٌ وذكرى في كل زوايا البيت، ولك في ذهني ذكريات، وفي قلبي شوق وحنين، ورائحتك ما زالت في

أنفاسي، ومن شدة الشوق أتخيل صورتك وملامحَك، وأشعر بلذة الحديث معك.

ما أصعب أن تشتاق إلى شخص وأنت تعلم أنه لن يعود!

تمر الأيام والليالي وأنا أسأل الموت.

لماذا بقيتُ مع الهم والحزن والأسى؟ لقد دفنت معه قلبي وفرحتي وابتسامتي. ليتني أراه في المنام وأسمع صوته ورنين ضحكته الجميلة، إنه أبي الإنسان الحنون صاحب الحضن الدافئ، لا أحد يشبهه ولا شيء يعوضه.

اشتقت إليك

بين ورقتي وقلمي أراك تظهر أمامي، تخنقني عبرة حين ألمحك بين سطوري ويزيدُ الشوقُ إليك، عجِزَ قلمي وجفَّ حِبرُه عن أن أكتب لك عن جرح صدري وقلبي الذي ينزف دمًا من الفجوة التي تركها فراقُك، وعن الكتمان الذي قتلني فسطّرته دمًا، كتبتُ كلماتٍ لم أكن أعرفها من قبل عن الفقد والرحيل الأبدي؛ حين جربتُ مرارة الفقد خرجت مني كلمات محرقة، انبهر القلم فانكسر، حتى الورق لم يتحمل، فما بالك بأحاسيسي المكتوبة التي تسكن صدري والمحفورة على جدار قلبي! لا تلُمني حينما أفعل ذلك فلو ذقتَ كأس الذي شربت منه لعلمت كم أنّي قوية حين أخرجتُ هذه المشاعر على الورق؛ فقد عذبني الكتمان، واحترقت عيناي من كثرة البكاء.

واعلَم أنه لو كان الدمعُ يُعيدُك لَبكيت حتى عميت، لكني لست أبكي اعتراضًا؛ بل اشتياقًا يا أبي.

لا أريدُ أن أعذّبَكَ بدمعي لكن ليس باليد حيلة؛ فهو يسقطُ رغمًا عني، ويخفّف عني ألمَ فقدك. أذهب إلى قبرك وأتحدث معك لعلك تسمعُني، أو تخرج لتنظرَ إلى حالتي وتمسحَ دمعتي وتقولَ لي: أنا معك، وتقف أمام كل شخص ظلمني أو أهانني أو عاداني ووقف ضدي، وترى الحياة كيف تجرأت وجرحتني وكأنها تعلم مدى ضعفي!

لو تعود يا أبي سأرهن لك عمري لتبقى معي وأستردَّ قوّتي بك.

أوصيت السماء أن تخبرك بكل شيء حصل معي، وكيف بقيت في عتمة سوداء أطفأت كل الأنوار، أجلس وحدي؛ ألتزم الصمت، أكتم المشاعر، أريد أن أبوح، فقدت صوابي وانعزلت عن الجميع، بل عن العالم.

لا أريد أحدًا سواك؛ فأنا في أمسِّ حاجتي إليك لتُطفِئ النار التي أُشعلت لما سرقك الموت مني.

أحرقتني يا أبي حتى جعلَتني حُطامًا رمادًا!

يا أبي، هل ستأتي وتسعفني؟ فلا شيء يستحق أن أعيش لأجله من بعدك يا أبي.

وكذلك وصيتها أن تقول لك: إلى من أشتكي حين أدخل في صراع ومشكلات في الحياة، وإلى من ألجأ؟

هل سأجد شخصًا يحمل همّي ويخفف عني؟ لا والله، ولو آزرني جميع الخلق فلن أجد مثلك ومثل قوتك، لقد حصلت أشياء غريبة من بعدك؛ فالذين تركتهم لم يعودوا مثلما تركتهم، يا أبي، في يوم وفاتك سقطتِ الأقنعة، وظهر الحب المزيف والأنانية، ستتفاجأ! لقد تغير كل شيء، كل شيء يا أبي.

سأبكي بحسرة على حالنا في غيابك.

ما يزال في نفسي كلام كثير أريد أن أحدثك به؛ فالذي أريد أن أوصله إليك هو أنني لم أستمتع بحياتي معك جيدًا، يا أبي، لقد رحلت مبكرًا.

أعلم أنك أنت كذلك لا تريد الرحيل، لكن لا اعتراض على حكمة الله وقدره.

ولكنني تمنيت أن تكونَ معي مدى العمر، وأن أرى التجاعيد في وجهك، وأكونَ أنا عكازَك الذي تتكئ عليه، وأريد أن

أخدِمَك في كِبَرك، وأن تكون جانبي، وأردَّ بعضًا من تعبك لأجلي، أعيد كلمتي لك يا أبي؛ ليتك لم ترحل مبكرًا.

اشتقت إلى الصباح الذي أسمع فيه همَسات الباب، وصوتَ قدومك من صلاة الفجر لتوقظني، فأستيقظ على صوتك الدافئ المليء بالرحمة والحنّية، وكم كان صباحُنا بوجودك جميلًا فيه لذةٌ مع إشراقة الشمس الجميلة وأنت في جوارنا وجانبنا.

اشتقت إلى كلمة بابا، واشتقت إلى كلمة ابنتي، وإن قالها لي آخرون فلن تأتي مثلما تنطقها يا أبتي.

قل لي يا أبي: لِمَن سأقول أسراري والألمَ الذي سكن قلبي؟

أبتي: من سيحميني من الدنيا؟ وإلى من ألجأ حين يرميني الزمان؟

أبتي: لم أجدِ اليد التي كانت تساعدني لأقوم مجددًا.

لقد ظُلمت في هذه الحياة كثيرًا، أبي، ليتك ترى ابنتك كيف تواجه أشدَّ أنواع الظلم مع الزمان الذي خانها، حياتي كانت حديقةً وأنت النور الذي يعطيها الضياء، واليومَ من ينير طريقها؟

قل لي يا أبي: لِمَن تركتنا بعد رحيلك؟ لِمَن تركت أمي التي أفنت عمُرَها وتعبت وسهرتِ الليالي وانكسرت من حجم المسؤولية التي وقعت عليها؟ أبي، لمن تركت أولادك وهم في أمسّ الحاجة إليك؟ ما زالوا في شبابهم في أول الطريق ومحتاجون إلى إرشاداتك ونصائحك، فنحن في زمن لا يرحم أحدًا يا أبي.

أبي، لِمَن تركت الصغارَ منهم الذين لم تملَّ أعينُهم من النظر إليك ولم يكتفوا من اللعب معك؟ ما زالوا صغارًا محتاجين إلى عطفك وحنانك، والنشأة في ظلك وتحت جناحك.

أبي، لِمَن تركت بناتك؟ إلى من سترجع إحداهنّ إذا أتت مكسورةَ الجناح؟ من سيجبرُها ويرمّمُ جرحَها ويخففُ عنها؟

أبي، لمن تركت المطلقة أو الأرملة والتي لم تتزوج بعد؟

أبي، كم تمنيتُ أن تبقى معي في حفل التخرج وأن أقبّلَ رأسك وترى مدى فرحتي!

أجبني يا أبي.

أبتي، يا تُرى؛ هل سنرجع مثل السابق؟ هل ستعود أمي بكامل قوتها كما كانت؟ وهل ستأتي وترفع المسؤولية عنها وتكون جوارَها؟

أبتي، من يرشد إخوتي الصغار وينصحهم؟ هل سيجدون أحدًا غيرَك يدلّلهم أو يعطف عليهم؟ والبنات هل سيجدن من يُسنِدْن ظهرهنّ إليه، ويجبرُ خاطرَهن، ويقوّيهن في

ضعفهن، وينتصر بأخذ حقهنّ بعد ظلمهن؟ أرأيت يا أبي ما ذا فعل بنا غيابُك؟

دفنت قلبي

نعم، ذلك التاريخُ الذي لن ينساه قلبي، كلّما مرت سنة أتى ذلك التاريخ، حينها ينتابني شعورٌ وأعيشُ بمرارته أيامًا، وكأنه ذلك اليومُ الذي خرجت فيهِ روحُه أمامَ عينَيّ.

شعورٌ يصعب وصفُه ونسيانُه، بل إن بعضَ المواقف قد ينساها عقلي لكنّ قلبي لا ينسى كيف كان ذلك الشعور.

ذرفتُ دموعَ العين وأنا أشاهدُ ذلك الموقفَ الصعب وما أشعر به من حزن وألم ولا أستطيع فعلَ شيء أمامَه.
تمنّيتُ حِراكَه وما في وسعي فعلُ شيءٍ أمامه وقد نزلت به المنية، فلم أتمالك نفسي وضممتُه إلى صدري وطبعتُ آخرَ قُبلةٍ على جبينه البارد، وصرتُ أصبّر نفسي وأكتمُ دمعي جلَدًا لكنّ قواي خارت، ووهن العزم مني، كيف لا والراحل هو أبي مهجة فؤادي، أودَعتُه مأواه الأخير، أودعته قبرَه وعيناي غارقتان في الدموع، وفاضت نفسي حزنًا.
ما أبشعَ لحَظاتِ الوداع! مليئة بالحزن والأسى!

لن أنسى كل الأشياء بتفاصيلها؛ كيف كان الناس يهمسون ويقولون إنه مات، كيف كان الصراخ يجوب المكان وأرجاء البيت، والدموع التي تنهمر، والقلوب التي تحترق من شدة الألم وترفض خبر وفاته.

مرتِ الأيام والسنون وأنت تحت الثرى.
تقرحتِ العيون، ما عذرها إن لم تبكِ فنورها وضياؤها وبهجتها غاب عنها!
انفطر القلب وتفتَّت الكبد ألَمًا لرحيلك يا أبي!
ذلك اليومُ لن يخرج من ذاكرتي وسيظل محفورًا فيها.

كيف أخبرهم

أنك أنت القلب والعين الثالثة،

وأنك البصيرة؟

كيف أخبرهم

أنك أنت للحياة أملٌ وسعادة،

أنك من مد لي الدنيا بكفيه؟

كيف أخبرهم

أن فراقك ترك حزنًا يكفيني طوال عمري،

وأن غيابك داء يأكل أيامي،

وفقدك جرح ليس له شفاء؟

كيف أخبرهم

أنك من يضحي وينصب لأجلي، ويبرد ليدفئني، ويحرم نفسه ليكسوَني ويعطيني، ويربيني على الأخلاق ومكارمها؟

كيف أخبرهم

أنك أنت من نتزاحم على الجلوس بين يديه، والقرب منه، ونتسابق على مجاورته شغفًا؟

أبي، كيف أخبرهم

أني مهما عملت فلن أستطيع أن أفي حقك وأسدد ديني لك؟

ومن مثل أبي

من مثل ذاك المجاهد البطل؟ جاهد جهادًا عظيمًا وأفنى عمره من أجل رؤية السعادة في نفوسنا، والبسمة على وجوهنا، من يأتي مثله؛ في ظاهره قسوة وباطنه رحمة ومودة؟

من مثل أبي

في طيبته وعصبيته وفي صمته وكلامه وقوته؟ من مثله في العطاء بلا مقابل، والحب بلا حدود، وفي إعطاء النصيحة بلا استثمار؟

من مثله ملاذ الأمن والأمان؟

ومن مثلي حين أقول إنك أبي؟

ومن مثلي حين أقول اسمي وأُتبِعُه اسمك؟

يا من في دوحة أبيها

إلى كل فتاة ما تزال في ظل دوحة أبيها: ارحمي هذا الأب الحنون الذي تعب ليرى الفتاةَ الصغيرةَ تكبر أمامه، فأنتِ الجوهرة التي يخاف أن يفقدها، يا ليتِك تعلمين مكانك في قلبه؛ فهذا الأب الذي يقسو أحيانًا يحمل لك في قلبه حدائقَ من حب لربما لا يترجمها بأفعاله، لكن اعلمي أنه يحبك ويخاف عليك، ولا يريد إلا مصلحتك وسعادتك، تزهو عينه برؤيتك؛ فأنتِ حجاب له من النار، لم ترَي مدى شوقه إليك مدةَ تسعة أشهر، ولم تَرَي فرحه وبهجته حين أتيتِ، كان يخبر الناس بمولودته الجديدة التي اختار لها أجمل الأسماء، وأنتِ طفلته المدللة التي اختار لها أفضل المدارس، لم تري فرحته حينما استقبلك بعد أول يوم من المدرسة، وكم استمتع بشكواك وسعادتك، وبالحديث معك، والضحك على أخطائك، والتلعثم في كلامك، كم فرح حينما أنجزتِ ونجحتِ في كل مرحلة من دراستك، كان يتعب ويشقى لكنه حين يرى فرحك ونجاحك ينسى كل هذا.

يأتي إلى البيت منهَكًا، ولما يراكِ يبتسم ويحضنك وكأنما رُفع جبلٌ عن صدره، يرمي أعباءَ دنياه خلف ظهره لينظرَ إليكم فقط.

لم ترَي دموع فرحته حين يراكِ بلباس التخرج مع انتهاء مسيرتكِ الدراسية، ولم ترَي عجزَه عن التعبير عن سعادته وهو يرى تلك اليد الصغيرة التي كان يلاعبها قد كبرت وتخرّجت، وهو لا يختار لكِ إلا أخير الرجال؛ فأنتِ وردته ولا يرضى إلا بأن يختار لكِ البستان الجميل المناسب لمقامك لأنك قطعة من قلبه.

هكذا هو الأب وعلاقته مع قلب ابنته.

فارحميه أرجوك، ولا تعصي أوامره، فإنكِ إن أغمضتِ عينَيكِ وتخيّلتِ فراقَه الأبديَّ لم تطيقي الحياةَ بعده، وتنازلي عن كثير من الأشياء التي تريدينها، ولا تفعلي شيئًا يسيء إلى تربيته لك؛ فالفتاة التي تعشق والدها لن ترضى له الذل، ولا إسقاطَ رأسه سواءٌ أكان حيًّا أم توفاه الله، ضعي والدك أمام عينيك دائمًا، ولا تجعلي أحدًا يسيء إليه أو يسبه بسببك؛ فهو لم يقصر معك ولا في تربيتك، وقد غرس فيك حب الدين والعفة،

تذكري ذلك الشيب الذي غزا رأسه؛ فهو يحكي طريقَ تعب وحُبٍّ في مسيرة حياتك.

هذا الوجع الذي لا نهايةَ له؛ أن ينكسر غصنك وضلع من صدرك، فلا فراق يكسر حنايا القلب، ولن يهز ثباتَك غيرُ فراق الأب في هذه الحياة، وستعلم بعدها معنى جملة: جبر الله قلبك.

لم أكن أعرف معنى الانهيار، ولا الكسر، ولا الصراع، ولا الهجوم، ولا السقوط، ولم أكن أعرف حزنًا ولا دموعًا، لم أكن أعرف العزلة ولا الوحدة، ولم أكن أعرف معنى كسر الظهر، لم أكن أعرف معنى الفرح الذي لا يكتمل، والحزن الذي لا ينتهي؛ لأنني كنت تحت حماية جناحيك يا أبي.

كنتَ لي كالمظلة التي ألجأ إليها حين يشتد المطر.

أشعر بالوحدة، وإن كان الجميع حولي فلا شيء يعوّض الجلوس إلى جانبك، والاستماع إلى حديثك ونصائحك، فلا أحد يشبهك أو يشبه طيبتك.

تمسك بوالديك جيدًا، واحضنهم في كل لحظة، واستغلَّ كل الفرص لإسعاد قلوبهم ونيل رضاهم، تمنيت أن أستطيع إيصال معنى فقد الأب إلى جميع الأبناء، لكني أعلم أن لا أحدَ سيشعر بهذا الألم أبدًا إلا حينما يعيش هذا الواقع المرير.

إذا سألوني ماذا تعني لي؟

سأجيب وأقول لهم: هو من قُربه راحتي، ومن يعلم سرّي، ويمسح دمعتي، هو من ينبض قلبي باسمه، ومن كان معي في أصعب أوقاتي.

هو من يفرح لفرحي، ويحزن لحزني.

هو من علمني سر الحياة.

هو من يشتاق إليَّ قبل أن أشتاق إليه.

هو من تضج المجالس بسيرته العطرة.

هو حبيبي، وقلبي، وقرة عيني.

هو حبي الأول، والثاني، والأخير.

هو مَن في جوارهِ أنسى همي وتعبي.

هو مَن ابتسامتُه تبعث فيَّ الروح حتى إن رأيتُها في منامي.

هو فِلذَةُ كبِدي، وقطعةُ روحي.

بل نبضي، ودمُ قلبي، وسنَدي، وفخري يا أبي.

هل أبوك يفخر بك؟

ألا ليت الآباء لا يحزنون، ولا يمرضون، ولا يموتون، وليتَهم يتمنَّون لأبنائهم ألّا يصيبَهم مكروه. إنك ما تزال صغيرًا في عين والدك وإن بلغتَ الأربعين، تظل عصفورًا صغيرًا في بستانه يخشى عليك من كل شيء، نعم إنه الأب.

كلنا يفخر بأبيه أيًّا كانت صفاته، هذا أمر معتاد، لكن السؤال: هل والدك يفخر بك؟

هل أنت بار به؟ هل ترفع رأسه بين الناس؟ هل تلبي طلبه بقلبك قبل لسانك؟

هل أنت قرةُ عينٍ لوالدك؟

راجعوا انفسكم.

هل تتحدث معه أكثر أم مع الهواتف؟ أُقسم إني سمعتها من الآباء! كم يفرحون حين يجلس معهم أبناؤهم ويتبادلون الحديث معًا!

أصبحنا مع الأسف في زمنٍ أشغلتنا فيه الهواتف عن والدينا، جالسوهم واقتربوا منهم، وصدّقوا أن الآباء وإن قسَوا علينا فذلك من حبهم لنا؛ لأنهم جرّبوا قبلنا ولا يريدوننا أن نتعب مثلما تعبوا، واعلموا أن قسوتهم لصالحنا وفي مصلحتنا.

يا من والده على قيد الحياة، أسألُ الله أن يمُدَّ في عمره، ويُحسِنَ عملَه، ما زال أمامك بابٌ للجنة مفتوح فاغتنمه ببِرّك، فهذه نعمة، قد يأتي يومٌ تندم فيه على هذه اللحظة، أما أنا فما يزال في وسعي بِرُّه، وسأجازيه بنجاحي وأرفع اسمه بكل فخر، ولن أنساه في كل سجدة في صلاتي، وسأهديه دعَواتي وصدقاتي.

رسالتي إلى من دفن قلبه:

ما يزال البر موجودًا بدعائنا لهم، والصدقة عنهم.

وأذكّركم بحديث الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدمَ انقطع عمله إلا من ثلاث..."، وذكر من بينهم: "ولد صالح يدعو له".

إن لم تفقد أباك فلك سند.

إن لم تفقد أباك فلك ظهر.

إن لم تفقد أباك فأنت في كامل قواك.

إن لم تفقد أباك فأنت في نعمة.

إن لم تفقد أباك فأنت في سعادة.

إن لم تفقد أباك فأنت في أمان.

إن لم تفقد أباك فأنت ما تزال على قيد الحياة.

إن لم تفقد أباك فلا تتكلم عن الفقد.

أعشق رجلًا جعلني فتاةً مدللة، رجلًا لا مثيل له؛ هو مصدر ثقتي وكل شيء في حياتي، عفوًا يا رجال العالم لستم كأبي!

أنا مدين بكل ما وصلت إليه وما أرجو أن أصل إليه من الرفعة إلى أبي.

الكون على اتساعه لا يضاهي سعةَ قلبِ أبي أبدًا.

عندما احتجت إلى وطنٍ يحميني وصدرٍ يأويني ناديتُ: أبي.

أبي، لم أجد صدرًا يضمّني سواه، فهو نبع الحنان السامي، ونبع الحب الصافي.

أبي، ناديت بكلمةِ أبي فلم أجد كلمةً تمحو ما فيَّ سواها، لم أجد دُنيا تحتويني سواها.

لم يخبرني والدِي كيفية العيش، لقد عاش وجعلني أشاهده وهو يفعل ذلك.

أبي في نظر الناس أبٌ لكنه في نظري أروع ملاك.

في نظر العالم أب وفي نظري عالَم.

يحضنني، ولو قدرتُ لأهديته عمري.

لقد ملكتَ قلبي، وهذا ما كنت تفعله دائمًا، أنت أعظم شخص قابلته في حياتي، وستبقى كذلك نِعمَ الأب.

أبي رجلٌ انطبقت عليه أوصافُ الملائكة أو هو ملاك انطبقت عليه أوصافُ الرجال.

منذُ أن رحلتَ عنّي

ورأيتُك في ذلك اللباس الأبيضِ

وأنا مفطورةُ القلب.

تمنّيتُ أن تعود الأيام ويقف الزمن،

وأن تبقى معي طوال الزمان.

تمنيت أن الأعمار كالهدايا؛

فأهديك عمري يا أغلى إنسان.

بعد رحيلك وقعت في بحر الأحزان،

وأصابتني الكآبة والمآسي.

ذقتُ طعمَ الأوجاع المريرة،

وشربتُ كأسَ اليأس في حياتي،

كأنّ أحدَهم رمى عليَّ جمرًا!

لما سمعت خبر الوفاة رأيتُ ظلمةً حولي، ودمعت عيناي.

ومِن بعد رحيلك لا أحد يحضنني ويخفف عني أوجاعي.

أصبح عقلي يفكر فيك،

واشتاق إلى صوتك العذبِ

الذي يخرجني من دائرة الأحزان.

اشتقت إليك بشدة،

واشتقت إلى رائحة أنفاسك، وصوتِك، وعيونك، وطلتك التي تُذهب معاناتي.

صرخات تعلو باسمك يا أبي.

ليتك تكون معي في فرحي وجميع أوقاتي!

كرهت الحياةَ من صغري،

وأصبح الموتُ كل أمنياتي!

أتعلم يا أبي؟

في كل وهلة أشعر بأن روحي ستخرج وتكون في جوارك يا أغلى إنسان في حياتي.

أبي سوف تبكي عليك العيون،

ستبكي حتى تجف الجفون،

ستبكي عليك حتى تَعمى،

فإن فراقك يمزق الصدور،

أود أن أخبرك بما يجري معي

من بعدك يا أبتاه؛ لمن تركتني؟

وإلى من أشكي همومَ قلبي؟

لَئِن فرقتنا سنون الحياة فسوف تبقى في قلبي يا أبتاه،

لقد رحلت عن الدنيا مسرعًا، ما زلت أريد حنانَ قلبك،

وأحتاجُ إلى حضن صدرك، وأشتاق إلى ضحكاتك

اللهَ أدعو أن تكون في جنانه بصحبة نبيِّنا، في رُتبة الشهداء،

وأن يكون قبرك روضة من رياض الجنان.

مرَّ ببالي طيفُك يا والدي،

فرحيلُك قد شقَّ فؤادي،

ومن يلوم الدمعَ إن لم يُفارق وجنتي؟!

فما عذره إن لم ينسكب وقد أُغلق بابٌ للجنة!

مِن بعدك من يداوي جراحي؟

أصبحتُ كالعصفور دون جناحين!

أوّاهُ لو تدري بحالي حين تركتني!

مكسورةٌ كسرًا منهُ أعاني.

كُنتُ أمنياتي وتظل أنتَ أغلى أُمنياتي.

يا فخري، يا محبوبي، يا نورَ حياتي.

ليتكَ تعود لو ساعةً لو ثانيةً في يومي!

بُنَيَّتُكَ تحتاج إليك في قسوة الأيام.

يسألونني عن الدمع الذي بين جفوني، وعنِ اختفاء الابتسامة عن محياي، وعن الحزن الذي يستوطن قلبي، والهمومِ التي على عاتقي وأنا ما زلتُ في سنِّ الصبا.

ويسألون عن شحابةِ وجهي، ويلومونني لِكثرة البكاء، ولِنُحولِ جسمي الذي ليس لِقلة الأكل.

توقفوا عن سؤالي: لماذا؟ وما بك؟ وما شأنك؟ فأنا أتذكر السبب، وأبكي لأجله، وأتألم منه كثيرًا، اكتفيتُ من الأسئلة!

الأبوان كالشمعة تحرق نفسها لإضاءة طريقك، فحافظ عليها، واقتبس منها نورًا قبل فوات الأوان. أخشى أن تنطفئ وتبقى في عتمة بقيةَ حياتك!

زرعتَ في داخلي طموحًا يدفعني إلى الأمام، وزرعتَ فيَّ الأملَ وحُبَّ العلم والكفاح.

أحتاجُ إليك كاحتياج الأرض إلى الماء.

كنتَ بدرًا يُضيء السماءَ المظلمة.

ما زلتُ لم أحذف رقمَكَ من هاتفي؛ فأنا على أملِ اتصالِكَ مجددًا.

إذا أتت سيرتُكَ عابرةً يحنّ القلب، وتتساقطُ الدموع حتى إنْ لم تكنِ المقصود؛ فسماعُ كلمة أبي يحرّك الشجون.

أبي كان مختلفًا

أشهد أنك لم تكن مثل الباقين؛ لقد كنت معلمًا ناصحًا، وأبًا حريصًا ورحيمًا، أدى واجبه بكل حب، وتحمل ما تحمله من تعبٍ ونصَب.

كان أخًا يساند في وقت المحن، كان يساعد المحتاج، وكان في الشدائد مقدامًا، وكان عند الضيق يمسح الآلامَ ويخفِّفُ العناء.

لم يكن شخصًا عاديًّا أبدًا!

بل كان حكيمًا، ترك أثرًا عميقًا في قلبي وعقلي، أرشدني إلى طريق أتفيَّأُ فيها ظلالَه.

كان موجودًا كلَّما احتاج إليه أحد، لم يرُدَّ أحدًا، كان كريمًا سخيًّا حبيبًا للقلب، صاحبَ لسانٍ عذب، وأكثرُ ما يجمّله الصمت، له هيبةٌ ووقار، ماذا أقول عنك يا أبي؟ أنتَ فِعلًا مختلفٌ لا يشبهك أحد.

قم يا أبي

بكى قلبي قبل عيني، وبكى كل شيء فيّ، وبكى الحجر على حالي، الحزن استوطنني، فقدت بهجتي، وبكى البكاء لأجلي، الليل أشفق عليَّ حين رأى مأساتي.

أصبح البكاء جزءًا من وجهي، لم أعد أرى الحياةَ جميلةً في عيني، كنت أنظرُ إليها في عينيك، وجمالها أراه في ضحكتك، وأستمتع بها في حديثك، ها قد أصبحتِ اليومَ مظلمة؛ فكلُّ بهجة رحلت معك.

أبكي أمام التراب وألم الفقد ينهش قلبي، كيف لا وأبي أصبح حفنةً من تراب وهو في الأمس يتجول حولنا في أرجاء البيت! أصبح مسكنُه اليومَ الحفرةَ التي أتمنى من الله أن تكون روضةً من رياض الجنة.

أبكي لأنك لم تلبِّ طلبي؛ أسألك ولا تجيبني! أقف على القبر وأتأمله، وألقي السلام ولا ترده! أحدثك أبي؛ قم، هل تسمعني؟ كيف هو حالك؟ لقد أصبحتُ أشعثَ أغبرَ دونك! قم أرجوك ولُمَّ شَعثِي.

يا أبي، الحياة لم ترحمني؛ كانت قاسية معي جدًّا، وما زالت يا أبي، إنها لا تقبل الضعفاء؛ فلم أجد قوةً ولا سندًا مثلك لأتقوى به، لقد انهرت من أول ضربة، أصبحتُ هشيمًا تذروه الرياح؛ فالقوة والسلاح والدرع الذي أحتمي به أصبح في نصائب مقبرة! قم يا أبي!

علمتني أن أواجه الحياة، لكني فشلت، قم وساندني يا أبي!

تذكرت كلامك عن الفراق حين قلت لي: إن الفراق الحقيقي يا ابنتي ليس هنا؛ فالفراق أن يكون أحدنا في الجنة والآخر في النار، فهذا هو أصعب الفراق وأشده.

سأفعل كل شيء؛ سأسعى جاهدة حتى لا نفترق هناك، تكفيني مفارقتك في الدنيا.

سألتقي بك على باب الجنة -بإذن الله-، هناك حيث الفرح الدائم، والسعادة المستمرة، لا يوجد تعب ولا نصب، سيفنى الحزن والفراق، سأسير جوارَك ونلفّ الجنان؛ حيث الأنهار واللؤلؤ والمرجان، وأعيش الحياة الأبدية معك؛ حيث البهجة والتنعم بالخيرات، وأسأل الله أن أراك يا أبي وأنت ترافق

حبيبنا محمدًا ﷺ وتسير معه، يا رب؛ الجنة لي ولأبي، فوالله لو رضي الله عنا وأدخلنا الجنة فهذا خيرٌ من الدنيا وحقارتها وجمالها.

البنت التي تعيش الدهر مع أبيها كالأميرة التي تشعر بسعادة، وطمأنينة، وراحة، وسكينة.

نعم، إنه الأب سند ابنته في هذه الحياة.

أكثر من يستوحش الطريقَ وتثقل عليه مسيرةُ الحياة تلك التي لم تفسرها أيٌّ من مغريات الحياة، والتي لم تتنازل عن أمور عدة، والتي لم تشعر أبدًا بقسوة الأيام، ولم تغرب شمس السعادةِ عن قلبها.

رقيقةُ المشاعر التي لم تشتكِ الهم والوجع في الوجود، التي كانت عظيمةً وشامخةً لا تعرف الضعف، البنت الوحيدة اليتيمة التي لم تُسأل عن تفاصيلها الخاصة، التي مات والدها، هي البنت التي تضحك أمام الناس وتبكي في خلوتها، ودموعها لن تجفَّ ولو جفّت دموعُ كلِّ من فارقوا أحبّتهم.

هي البنت اليتيمة التي لن تجف دموعها ولو طال الزمان، بل تتجدد هذه الدموع مع كل ذكرى لأبيها تمرّ، مع كل فرحة، مع كل وجع وقسوة، إذ يزداد الشوق إلى أبيها مع مرور الأيام، فلترحموا دموع هذه اليتيمة.

أ

كثر رجل كان يرافقني في أيامي، أخذت منه المعرفة والاعتدال والقناعة، وحملتُ كل كلمة له في الوصية، واقتديت به حتى في الحكمة في صمته، فقد علمني ذلك، وحينما كنت أقتدي به أعلم أن السنين التي عشتها معه قليلة، لكنه علمني فيها الكثير، وسأسير على كل وصية أوصاني بها، وعلى خططه التي كان يخططها لي.

أما الآنَ فقد أصبح الفراغُ يملأ أيامي، أمكثُ معَ نفسي ويأتيني طيفُ ذكرياتك، وأتقلب في ماضٍ جميل معك.

تلك الضحَكات والبسَمات والأحاديث التي بيننا لم تكن تنتهي، أتذكر دعاباتِك معي وما تفعله حينما أخطئ في شيء أمرتني به. تعاملني بوُدّ، كنتَ دائمًا رحيمًا بي، بل كنتَ تُضحِكُني في خطئي.

تقلّبت في ذاكرةِ أيام مشاغبتي في المدرسة، يوم أن جِيء إليك بظرف أبيض لِيستدعُوك.

تذكرت حنانَك وحكمتَك في نصحي، فيدكَ الحانية لم تلمسنِي بشدة، ولسانك لم يكن حادًّا أبدًا.

كنت أشعر بأن أبي غيرَ الآباء؛ فلم يكن يعرف القسوة معي على الرغم من شقاوتي في الطفولة، كان حبيبًا رحيمًا، أتذكر

لعِبي معه وتجاهُلَه أخطائي، وتظاهُرَه بأنه يلعب بجدّية؛ حتى أفوزَ عليه ويرى فرحتي.

أشعر بالحنين إلى الأيام التي نخرج فيها معه إلى نزهة، ونلعب في السيارة في طريقنا، ونطلب منه أن يزيد السرعةَ فيحققُ لنا رغباتِنا بكل حُب.

كان مؤنسي في كل يوم.

من سيمازحني؟!

من سيملأُ البيت بصراخٍ تتعالى فيه ضحَكاتُنا؟

من سيحلّ جميع مشاكلي؟

لقد كان أبي وأخي وصديقي، وقد فضّلني على كل شيء.

إنه وجعٌ يزداد كلما تذكرت أيام طفولتي.

أبي احتاج إلى أن أرتمي في حضنك، وأستمد منك تلك القوة التي كنت تلهمني إياها بعد هذا الكسر الذي أعيشه.

إذا أتت سيرتك عابرةً يحنّ القلب وتنهمر الدموع حتى إن لم تكنِ المقصود؛ فسماع كلمة أبي فقط يفعل بي هذا.

مرت سِنونٌ وازداد الحنين، ولم يُشفَ جرحي الدفين، بل ازداد القلب شوقًا إلى لقياك.

تقبيلي جبينَ أبي قبل دفنه بدقائق أكبرُ وجع عشته في حياتي!

فالبيت لم يعد كما كان

مليئا بالفرحة والامتنان

منذ رحيلك تغير ما كان

.من حسن إلى سيء الاركان

انقلب الدهر على قلبي نصفان

.وددت لو مت قبلك بأمان

حبي لك ابي يشبه البركان

وانا صرت طائرا مكسور البنان

أبي يا صاحب القلب الكبير، يا صاحب الوجه النضير، يا تاج الزمان، يا صدر الحنان، أنت الحبيب الغالي، وأنت الأب المثالي، وأنت الأمير، لو كان للحب وسامٌ فأنت بالوسام جديرٌ يا صاحب القلب الكبير.

حين يتحدثون عنك يا أبي يهتز شيء في داخلي، يقشعر جسدي بكل ألمٍ وحزنٍ وأسى، أفتقد إليك يا أبي! بعثرني غيابك جدًّا! اللهمَّ اجعل الجنة دار لقاء لمن حاصرهم الحنين، وأضناهم الشوق إلى أحبتهم الراحلين.

عيناك يا أبي تحكيان أجمل قصة عشق، هي أكبر من أنْ تُسطَّر على ورق، إنْ لم تقلها بلسانك فنظرك وأنفاسك يحكون هذا.
كم من اسم يشبه اسمك! وملامح تشبه ملامحك! لكن لا أحد يشبهك في أفعالك الطيبة.

تمنيت أن يومي قبل يومك لو بثانية، أريد أن أقول: بابا، وأتغنّى بها في يومي لكنّك ودّعتني مبكرًا!
كم تاقت إليك روحي! وكم مرةً أُهِنت حين يُقال لي: يتيمة الأب!
لم أنس الآهاتِ التي خرجت منك وأنت في مرضك، وتعابيرَ وجهك، وتَظاهُرَك بأنك بخير.
أسأل الله أن يجعلَ كل هذا تكفيرًا لخطاياك، ويجعلَ مكانَك في جنات الخلد يا رب.

أنا بنت رجل يختلف عن بقية الرجال
بطيبه وصِيتِه وفي كل الأفعال،
أنا بنت رجل تُضرب به الأمثال
في الرجولة والشجاعة والفِراسة.
أنا بنتُ رجلٍ إذا ذَكرتُ اسمه اجتزت المعالي.
أبي، ومن كأبي؟!
أنا بنت رجلٍ شامخٍ لن يُطَأطَأَ رأسُه،
وسأرفعه بأخلاقي وعفتي وديني،
ولن أسمح لأحد بأن يشوّه سُمعتَهُ
ما دام فيَّ قلبٌ ينبض طوال سنيني.
أنا بنت رجل سقاني الحبَّ بدم قلبه،
عشقته فلا أحد يستحق هذا القلبَ إلا أنت.

لو حلت لنا زيارة المقابر لبت فوق قبرك، وآنست وحشتك، وسردت لك القصص المتراكمَة داخلي.

أنا لم أعد أرى شيًئا من جمال الحياة، غربِت الشمس في بداية الصباح،

فأكملتُ يومي في سواد حالك، وفي ليلةٍ باردة أستغيث صدرك الدافئ، وأتعطر بأنفاسك، أحببت أشياء كثيرة لحبك لها!

يا من كان يتعهدني حين أمرض، ويدعو لي بتلك الدعوات الجميلة التي يشفى بها مرضي، وأرى تلك الخطوط التي تغطي جبهتك فيزداد همي؛ لأنك تتألم لألمي.

تعلمت من أبي

ألا أبكي؛ لأن الدموع تسرق العمر، وعلمني أن أكون صلبًة بإحساسي،
وقويًة بالتجمل، وعلمني أن أختار طريًقا ثالثًا حينما يخّيرني الناس بين
طريقين.
وعلمني أن أكسَر الحدود المتاحَة لي، وأن أضع بصمًة في الكون.
علمني أن أتجاوز العَقبِات الفانية، وقال لي :لا تيأسي من رحيلي، تعلمي
ثم تعلمي؛ فحلاوة الحياة بالعلم.
قال لي :السماء أخبرتني أنِك تحتاجين إلي لكي أمسح دموعك، أنا إن
لم أتمكن من الاستمرار على التمثيل على مسرح الحياة فكوني أنِت
ممثلًة بارعة.

يا ابنتي،

الحنين قد ينكسر،

قد يُنسى ويرمى،

والحب أقّل منها.

لا تبالغي في الهوى،

و عين الله عليك، لا تيأسي من رحيلي.

ابي حبيبي
ورفيقي في الُحزنِ والضحكاِت
طبيب خاطري ودواُؤُه
ابي ولا تكفي له الكلماِت
ابي وإن نسَي الجميُع ملامحي
ابي يصنع في قلبي بيوت من الأمل، كان يُناجي في الصلواِت
ابي يصنع في قلبي بيوت من الأمل، يُصلح بي ما أفسدته الحياة،
يرِمرم خراب روحي، يسّد ثقب حزني،
يمحي ألم صدري، يسعى لإصلاحي دون مقابل، فقط ابي، ليت للحياة
قلِب ك قلبِك أبي•

أبي سأنهي رسالتي

أبي، سأنهي رسالتي وأقول لك: ما زلتُ تلك التي تركتَها؛ الطفلةَ التي تبكي على أتفه الأسباب، وتفرح لِأبسط الأمور، وما زلتُ التي تشكو من شيء وتريد كلَّ شيء، ما زال الدمع يترقرق في جوف الليل حين أتذكر اللحظاتِ الجميلةَ التي كنت معي فيها منذ صغري حتى فارقتُك!

ما أجمل سنيَّ حياتي التي قضيتُها جوارَك يا أبي! كنتَ لي سندًا وعونًا، وحتى الآن ما زلت أُقنِعُ نفسي بأنك لن تعود من سفرٍ سماوي، وأقنع نفسي بأنه ليس حُلمًا!

أُقسم إنني إلى الآن أظن أنّي إن دخلتُ غرفتَك فسأجدك، وينتابني شعورٌ بأنك ستجيب على اتصالاتي!

وإلى هذه اللحظة أشعر بأنك ما زلت على قيد الحياة!

نَم قريرَ العين؛ فوالله لن تفارق دعائي كلَّ صلاة.

رحِمك الله يا من جعلتني أفخرُ بك حيًّا ومَيتًا.

الحمد لله ولا اعتراض على حكمة الله؛ فأنت وحدك يا الله تُحمد في السراء والضراء، أسألك أن تجبُرَ كسري، وتجبُرَ خاطري برؤية أبي على باب الجنان.

أستغفرك يا ربي على قلة صبري على فقده، اللهم ارحم عبدك رمضان ابن عبدك ابن أمتك، اللهم رحمتك يا رحيم، والطف بكل عين جرت على فقدان حبيبها يا رب العالمين.

انستقرام:
Haneen_ldby
فيس بوك:
Haneen_Ramdan
تويتر حنين رمضان
haneenldby@gmail.com

الفهرس

إلى من يقرأ 3
إهداء 4
إلى روح أبي 6
نصيحة 10
وداعُ أبي 11
اشتقت إليك 17
دفنت قلبي 24
كيف أخبرهم 26
ومن مثل أبي 28
يا من في دوحة أبيها 29
هل أبوك يفخر بك؟ 34
أبي كان مختلفًا 46
قم يا أبي 47
تعلمت من أبي 58
أبي، سأنهي رسالتي 61

هـذا الوجـع الـذي لا نهايـة لـه، أن ينكـسر غصنـك وضلـع مـن صـدرك، فـلا فـراق يكـسر حنايـا القلـب، ولـن يهـز ثباتـك غـير فـراق الأب في هـذه الحيـاة، وسـتعلم بعدهـا معنـى جملـة: جـبر اللـه قلبك.

انستا@haneen_ldby

بارید الالکتروني haneenldby@gmail.com